

الفصل ٤

الدافعية والحماس وتدني التحصيل

غالباً ما يتحمس الأطفال الموهوبون للتعلّم وينهمكون بشغف في كثير من الأنشطة والأفكار ويشعرون بفضول كبير تجاه العالم من حولهم. فكيف إذن ينحرف بعضهم نحو أنماط التحصيل المتدني؟ وكيف تخبو دافعيتهم الداخلية؟ وكيف يستطيع أولياء الأمور رعاية الدافعية ليتمكن هؤلاء الأطفال من تطوير اهتماماتهم وقدراتهم؟ وكيف يستطيع الراشدون المهتمون وقف تدني التحصيل؟

كيف يمكن أن تتحوّل الدافعية إلى مشكلة؟

ييدي الأطفال الصغار الموهوبون كثيراً من الإثارة للعالم الذي يحيط بهم. وقد وصفت إحدى الأمهات دافعية طفلتها البالغة من العمر سبع سنوات على النحو التالي:

« لن أنسى أبداً أول يوم كَهَبْت فيه إلى الروضة ... فقد كانت تشعر بإثارة عالية جداً لدرجة أنها كانت تهتز، ولم تستطع الانتظار حتى تدخل من باب المدرسة. كنت راغبة جداً في إرسالها إلى المدرسة؛ لأنها بكلّ صراحةٍ أعبتني. كانت زوبعةً من الطاقة لا تتوقّف عن الكلام أو طرح الأسئلة»^١.

عندما ينمو مثل هذا الطفل المتحمّس المحبّ للاستطلاع من مرحلة ما قبل المدرسة إلى مرحلة المراهقة ويصبح شاباً لامعاً، لكنه يفتقر إلى الدافعية، فإنّ والديه يصابا بالحيرة والإحباط. فكيف يحصل هذا التغيير؟

قد يُعزى السبب إلى أنّ عدداً كبيراً من بين الأطفال الموهوبين يسمعون في مرحلة ما قبل المدرسة رسائل كثيرة تخفّف من اندفاعهم، مثل: «على مهلك»، أو «انتظر قليلاً»، أو «نحن لا ندرس هذا الموضوع اليوم»، أو «سوف نعرف عن هذا الموضوع الأسبوع القادم (أو الفصل القادم أو السنة القادمة)». وعندما يدخل الأطفال الموهوبون المدرسة يشكو كثيرٌ منهم الملل بسبب بؤء وتيرة التعلّم نسيباً^٢. ومع أنّ الملل قد يكون أحياناً تدمراً يعبر عن الكسل، أو عذراً لعدم المشاركة الصفية، إلا أنّ هؤلاء الأطفال، بدءاً من الصف الأول وحتى المرحلة الثانوية لا يحبون الأنشطة المدرسية التي تخلو من التحدي.

تعود جذور تدني التحصيل في المدرسة الإعدادية أو الثانوية إلى المدرسة الابتدائية التي تكون مقرراتها غير مناسبة لهؤلاء الأطفال، أو سهلة جداً إلى الحد الذي لا تثير فيهم التحدي^٣.

وكلّما تقدّم هؤلاء الأطفال في صفوفهم المدرسية أصبحوا أكثر اهتماماً بالانسجام مع زملائهم، وأقلّ اهتماماً بمستوى أدائهم الأكاديمي. فهم يعرفون تماماً أنّهم أذكاء، وأنهم الأوائل في صفوفهم. وقد أخبرهم الجميع أنّ أداءهم عند هذا المستوى جيد، وأنّ رغبتهم في تعلّم المزيد غير ضرورية، وأنّ أسئلتهم يمكن أن تؤجل، وأنّ عليهم أن يستمتعوا «بطفولتهم» ويتعدوا عن قضايا الراشدين. لكنهم

كلما تقدّموا بالعمر، أخبرهم ذوّهم ومعلّموهم أنّهم لم يحققوا إمكاناتهم، وأنّهم لا يزيدون عن زملائهم شيئاً. ولا شك أنّ كلّ هذه الرسائل المتناقضة تلعب دوراً كبيراً في مسألة الدافعية.

ولكن، هل هذه هي الأسباب الوحيدة التي تؤدي إلى هذه الفجوة الواسعة بين الطاقات الكامنة للأطفال الموهوبين وأدائهم؟ ما الذي يطفئ شعلة النشاط عند كثير من هؤلاء الأطفال؟ وهل يستطيع الوالدان إعادة هذه الشعلة كما كانت؟ هل يمكن تحويل طاقاتهم بعد تخزينها إلى مسارٍ جديدة؟ لا شك أنّ هناك مسارٍ كثيرة للحصول المتدنيّ ونقص الدافعية، لكن، ولحسن الحظ، هناك في المقابل طرقٌ كثيرةٌ لحفز الطفل الذي يعاني من نقص الدافعية، واستثارة نشاطه.

لماذا تصعب استثارة دافعية الأطفال الموهوبين؟

كي تفهم هذا التساؤل، ربما يكون من المفيد التفكير في بعض المواقف التي بدأت فيها دوافعك بالتباطؤ والتراجع. ولا شك أنك تعرف أنّ دافعتك تتفاوت من يوم إلى آخر، فهي اليوم ليست كما كانت عليه بالأمس، ولا كما ستكون عليه غداً. بل إنّ مستويات دافعتك تتذبذب بصورة دراماتيكية مثيرة من حين إلى آخر في اليوم نفسه. والحقيقة أنّ لا أحد يحصل على درجة (١٠٠٪) طوال الوقت، وقد يهبط أداؤك تحت مستوى طاقاتك الكامنة في التمارين الرياضية مثلاً، أو في تنظيف المرآب. فهل يكون تحصيلك متدنياً في هذه الحالات؟ حسناً، يعتمد ذلك كله على وجهة نظر من يجيب عن السؤال.

هناك عوامل عديدة تؤثر في الدافعية، ولا يكفي في معظم الأحيان أن نعرف فقط لماذا لا يصل إنسان معين إلى حدود طاقاته الكامنة، فمعظم الناس يفهمون، مثلاً، لماذا يجب عليهم أن يتمرّنوا أو ينظّفوا المرآب، لكنّ معرفة السبب لا تغيّر ذلك السلوك؛ إذ توجد عوامل أخرى تدفعهم في اتجاهاتٍ مختلفة. وعليك أن تتذكّر أنه لو كان باستطاعة طفل ما أن يغيّر دافعيته بسهولة، لفعل ذلك منذ وقت طويل (ولكان المرآب مرتّباً وفق المبدأ نفسه). ولكن، بدلاً من ذلك، ربما هناك سبب جيّد لعدم التغيير من وجهة نظر الطفل. ولهذا يجب عليك وأنت تبحث عن تدنيّ مستوى دافعية الطفل الموهوب أن تتناول الموضوع أولاً بدراسة بعض العوامل الكثيرة التي تؤثر في هذه الدافعية، ومنها:

الصحة: قد تلعب الأسباب الجسميّة دوراً مهماً في تدنيّ التحصيل، كالمشكلات البصريّة والسمعيّة، أو الالتهابات المتكرّرة، أو قلة النوم خاصّة بين المراهقين، أو التغذية السيئة، أو إساءة استعمال بعض الموادّ. تجب دراسة كلّ هذه العوامل واستبعادها. فبعض الأطفال الموهوبين على سبيل المثال، يبدوون كما لو أنّهم فقدوا طاقاتهم كلّها في الحصة الصفية التي تسبق وجبة الغداء، وعند منتصف وقت العصر، ويكون الأطفال في أثناء هذه الأوقات «لاأباليين» Off-Task ولا يهتمون بإكمال الواجبات التي يكلفون بإنجازها، أو يجدون صعوبة في التركيز، فيبدأ تحصيلهم بالتدنيّ.

يعاني بعض الأطفال من صعوبات التعلّم، أو من اتّساع مدى القدرات بسبب نموهم اللامتزامن. ومن السهل عدم الانتباه إلى صعوبة التعلّم؛ ذلك لأنّ الموهبة تشكّل قناعاً يغطّي أيّ صعوبة، لكنّ الإحباطات التي تصيب الطفل تؤدي إلى مشكلات في الدافعية. وعندما يتخطّى الوالدان الأسباب الجسميّة يمكنهم التوجّه إلى أسباب أخرى محتملة لتدنيّ تحصيل أطفالهم الموهوبين.

العائلة: ما توقّعات العائلة بالنسبة لتحصيل أبنائها؟ هل تتوقّع أن يكون تحصيلهم متساوياً في المجالات كلها؟ هل توقّعات الوالدين عالية، أم منخفضة؟

يهتمّ بعض أولياء الأمور بسعادة الطفل ورضاه أكثر من اهتمامهم بإنجازه الأكاديمي، في حين يهتمّ آخرون بارتفاع تحصيل أبنائهم. وفي هذا السياق من المفيد تكوين فكرة سريعة عن الصحة الانفعالية العامّة للعائلة لمعرفة إن كانت هناك صعوبات تستنزف قدرات الطفل وانفعالاته أو تشغله في أمور لا علاقة لها بالإنجازات المدرسيّة. ومن الأمثلة على ذلك عدم استقرار العائلة، أو طلاق وشيك الوقوع، أو شجارات متكرّرة داخل العائلة، أو الانتقال إلى مكان جديد؛ ممّا يتسبّب في فقدان أصدقاء الطفل، أو موت قريب أو حتّى حيوان أليف، أو حدوث الفوضى بين الأشقاء أو الزملاء.

يمكن أن تسبّب أيّ من هذه الحوادث القلق الذي يتدخّل في العمل المدرسي اليومي ويعطل التركيز حتّى عند أذكي الطلاب. وقد تسلك العائلة أحياناً بعض الأساليب التي تشوّش الطفل، مثل صدور رسالتين مختلفتين من الوالدين حول أهميّة التحصيل، أو نقص واضح في احترام أحد الوالدين للآخر.

تشكّل الضغوط جزءاً مهماً من الحياة اليوميّة، حيث يصعب تجنّب بعض مواقف الحياة، ولكن علينا أن نتذكّر أنّ الأطفال الموهوبين شديدي الحساسيّة والحدهدّة يمتلكون مجسّات إضافية تمكّنهم من تتبّع توترات العائلة التي قد يعتقد الوالدان أنّها في غاية السريّة، لذا؛ فإنّ من الأهميّة بمكان الاهتمام بجو العائلة والأحداث التي تدور فيها عند تعقّب أسباب نقص الدافعية، أو تدني التحصيل عند الطفل الموهوب. فقد يكون كلّ ما تستطيع عمله هو تقديم الدعم والتفهم. وقد تفيّد مجموعات الدعم أو المجموعات الإرشادية أحياناً. فهناك مثلاً مجموعات تدعم الأطفال في حالات الأسى، وأخرى تدعم الأطفال الذين يفكّر والدوهم بالطلاق. وثالثة تسمّى مجموعة حماية الأطفال الذين يعيشون مع عائلاتهم مدمنة على الكحول.

وعندما تعاني العائلة من أزمة أو موقف طارئ، بإمكانك تخفيف التركيز مؤقتاً على تحصيل الطالب الأكاديمي. فقد يكون من المناسب أحياناً أن تلجأ إلى إجراء ناجح وفعالٍ وحميمٍ بأن توضح للطفل أنّك تتفهم الضغوط التي يشعر بها، ولن تركز الآن على التحصيل. وقد تعبّر للطفل عن أملك في أن يعيد التركيز على التحصيل وعلى الأهداف بعيدة المدى قريباً.

العلاقات: تعدّ علاقات الطفل مع الآخرين عوامل مهمّة في الدافعية. ومن أكثر أسباب تدني التحصيل المدرسي عند الطفل الموهوب سعيه إلى الانسجام مع الزملاء أكثر من اهتمامه بالتحصيل الأكاديمي.

يتوزّع كثيرٌ من الأطفال الموهوبين بين حاجتهم إلى التحصيل والإنجاز، وحاجاتهم إلى الانتماء لزملائهم. ومن المؤسف أن يتعرّض الكثير من الأطفال الموهوبين إلى الإغاطة والنعت بألقاب مؤذية من مثل: «أبله»، أو «غير اجتماعي»، أو «متحذلق».

قد لا يكون حصول الطالب على الدرجة العليا باستمرار مريحاً، وقد تتعمّد الفتيات الموهوبات أن يكنّ متدنّيات التحصيل لاكتساب شعبية أكبر بين الشباب^٧. وقد يحاول الشباب الموهوبون تحقيق «رمز الذكورة» Boy Code الذي يعلي من شأن المهارات الرياضيّة دون العقليّة^٨. وقد يتهم الأولاد

الأمريكيون الأفرقة أنهم يحاولون التصرف كالأولاد البيض إذا كانوا من ذوي التحصيل المرتفع^١.

يواجه الطفل الموهوب ضغوطاً هائلة للانسجام مع زملائه، مما يؤدي إلى مشكلات الدافعية في معظم الأحيان حيث تشكل علاقات الطفل مع الآخرين عاملاً مهماً في تحديد مستوى تحصيله. فأنتم مثلاً ربما تتذكر بعض الأشخاص المهمين في طفولتك، وكنت على استعداد تام أن تفعل أي شيء من أجلهم. لقد كان هؤلاء الآخرون قادرين على إيقاظ دافعتك من سباتها وتوجيهها الوجهة الصحيحة، فهل تستطيع في المقابل أن تتذكر أشخاصاً آخرين لم تكن تفعل من أجلهم سوى أقل القليل لأنهم كانوا سبباً في تدمير حماسك حتى في مجالات اهتمامك أحياناً؟ لقد دمّرت علاقاتك بهؤلاء الناس دافعتك الذاتية.

والآن، فكّر في علاقتك أنت بأطفالك. هل تتقدمهم؟ هل يشعر طفلك بالأمان إذا طرح قضايا حساسة أو موضوعات جدلية للنقاش؟ هل أنت قدوة لطفلك في العمل الجاد والتحصيل والتعلم المستمر مدى الحياة؟ هل تبدي رغبة وإرادة قوية للتعلم حتى عندما تكون المهّمات المطلوبة منك صعبة جداً؟ هل تعامل أطفالك بالاحترام والهدوء نفسيهما اللذين تعامل بهما زملاءك في العمل عندما يتدنّى تحصيلهم؟ إن لم تكن كذلك، فقد تكون علاقاتك بطفلك من العوامل التي تسهم في تدنّي مستوى دافعيته.

المدرسة: يعدّ تدنّي التحصيل الدراسي من أكثر مشكلات الدافعية شيوعاً كما يصفها أولياء الأمور والمعلمون، إذ يكون أداء الطفل أدنى بكثير من طاقاته الكامنة. وإنه لأمر مثير للسخرية أن تكون المدرسة - التي يفترض أن تكون من بين مؤسسات المجتمع الملاذ الآمن للطفل الموهوب - مصدرًا للإحباط وخيبة الأمل في معظم الأحيان. وهنا تبرز مشكلات الدافعية وتدنّي التحصيل أكثر ما يمكن. ومن المؤسف أن الأطفال الموهوبين يتعلمون تدنّي التحصيل في المدرسة^٢. فإذا كانت المعايير متدنية، والجهد المطلوب للنجاح بسيطاً جداً، وإذا انهال المديح والثناء على الطفل الموهوب بسبب قدراته المتميزة، فإنه لن يكون من السهل تطوير الدافعية الذاتية وعادات العمل القوية. فيتعلم الطفل الموهوب بدلاً من ذلك، أن النجاح ينتج دون بذل جهد كبير؛ مما يمهد الطرق أمامه مستقبلاً للفشل في مشاريع تربوية قادمة يكون فيها النجاح متوقّفاً إلى حدّ كبير على الجهد.

يتلهّف معظم الأطفال الصغار الموهوبين لدخول المدرسة، ويتوقّعون أن تكون المدارس أماكن مليئة بالإثارة والفرص التعليمية والإجابات الشافية لكلّ تساؤلاتهم. كما ويرونها أماكن يستطيعون فيها بناء علاقات مع أطفال آخرين مثلهم تماماً. لكنهم -لسوء الحظ- يصابون بخيبة أمل في معظم الأحيان. ففي الروضة مثلاً، يستطيع هؤلاء الأطفال قراءة جمل كاملة، بينما لا يستطيع زملاؤهم سوى قراءة بعض الحروف والتعرف إلى بعض الألوان الأساسية. فيشعر الأطفال الموهوبون عندئذٍ أنهم سبقوا غيرهم بخطوات كبيرة، ولسان حالهم يقول: « لماذا لا يعرف الأطفال الآخرون ما كنّا قد تعلمناه قبل سنوات عديدة؟ ».

يتحوّل جوّ المدرسة عند كثير من الأطفال الموهوبين إلى مناخ خالٍ من المتعة والإثارة. وسرعان ما تختفي الإثارة ويختفي معها الحماس وحبّ الاستطلاع. وقد بيّن بعض الخبراء أن الأطفال الموهوبين

في المرحلة الابتدائية يهون واجباتهم بسرعة كبيرة مقارنة مع زملائهم في الصف، حيث يتبقى حوالي ربع الوقت المخصص للحصة الصفية أو نصفه وكأنه زائد عن حاجتهم. أما الأطفال مرتفعو الموهبة، فقد يشغلون ثلاثة أرباع وقت الحصة في «أعمال نشيطة» أو في انتظار الآخرين^{١١}. وما لم تقترح تعديلات تربوية مناسبة، فإن الفجوة تزداد سنوياً بين مهارات هؤلاء الأطفال، والأداء العادي لزملائهم في الصف^{١٢}. ومع ذلك، فإن كثيراً من الأطفال يقضون وقتهم المدرسي في أعمال كانوا يستطيعون عملها قبل وقت طويل.

ماذا يفعل هؤلاء الأطفال بوقتهم الزائد؟ يختلف ذلك من طفل إلى آخر، ومن يوم إلى آخر. فقد يحاول بعض أطفال المرحلة الابتدائية مساعدة المعلم أو مساعدة الأطفال الآخرين، أو قد يحاولون أحياناً أن «يسألوا أنفسهم بطرق إبداعية» بأمور قد تثير الرعب في نفوس المعلمين. وقد يصبح أطفال آخرون أكثر أقل انتباهاً ويبتكرون طرقاً لقضاء وقتهم من خلال أحلام اليقظة. فقد يبنون في أذهانهم مركبة فضائية مثلاً، أو يحصون عدد الثقوب الموجودة في بلاط مانع الصوت في سقف غرفة الصف، أو يسجلون عدد المرات التي تنصب فيها الفخاخ للمعلم، أو يتدربون على الكتابة بطريقة عكسية. بعضهم قد يقرأ تحت مقعده، وبعضهم يرسم دون هدف، وبعضهم يكتفي بمراقبة الساعة، لكنهم جميعاً لن يتعلموا إلا قليلاً من التعليم الصفّي الذي يشعرون أنه أدنى بكثير من مستوى قدراتهم وحاجاتهم التعليمية.

من الصعب حقاً على أطفال يشكّلون أعلى ٣٪ من مجموع الطلاب أن يحافظوا على دافعيتهم في نظام تعليمي يركّز أساساً على ٩٧٪ من الأطفال الآخرين. وربما يكون الإحباط الناجم عن ذلك هو السبب الرئيس في كون أداء الأطفال الموهوبين أدنى من طاقاتهم الفعلية بحوالي صفيين إلى أربعة صفوف مدرسية^{١٣}.

يواجه التربويون عادة بموقف صعب للغاية، فهم لا يريدون أن يثبطوا الأطفال الموهوبين بنية مسبقة، لكنهم مع ذلك، مطالبون بإثبات أن طلابهم جميعاً يظهرهم الحد الأدنى من مستويات الكفاءة، وعليهم أن يفعلوا ذلك حتى عندما تكون المجموعات التي يعلمونها كبيرة وغير متجانسة من حيث القدرات. قد يمارس بعض طلاب الصف مشكلات سلوكية أو بعض الحاجات الخاصة مثل صعوبات التعلم. ويجب على المعلمين، إضافة إلى ذلك، تعليم بعض المهارات الاجتماعية بحيث يتمكن الطلاب من الالتزام بالأنماط المقبولة من السلوك.

قد يصدف أحياناً وجود معلم لا يحب الطلاب اللامعين، ويعاقبهم بملاحظاته وتعليقاته الساخرة في الحصة الدراسية، أو قد يلجأ إلى الدرجات المتدنية كي «يعلمهم درساً» أو «يثبت أنهم ليسوا موهوبين». غير أن تصرفات هؤلاء المعلمين لا تكون بهذا الوضوح في غالب الأحيان. فهم بكل بساطة يتجاهلون الطالب الموهوب، ويركزون اهتماماتهم على الطلاب الذين يكافحون من أجل إنجازات على مستوى الصف الذي يدرسون فيه. وقد يطلب المعلم من الطالب الموهوب أن يساعده على تعليم الطلاب الذين يحتاجون إلى المساعدة، مما يحرمه فرص التعلم وفق مستواه وبما يتحدّى قدراته. فتكون النتيجة في الحالتين كليهما إخماد حماسه الداخلي وتدني دافعيته الذاتية.

يمكن أن تراعي التعديلات التربوية دافعية الطلاب الموهوبين وحماسهم، وتعيد إليهم النشاط اللازم للتعلم. وسوف نناقش بعض الطرق المفيدة في ذلك في نهاية هذا الكتاب. لكن من المهم أن نفهم أنه لا يمكن حل جميع المشكلات المتعلقة بالدافعية وتدني التحصيل إذا استطعنا توفير الخيارات التربوية المناسبة فقط. صحيح أن النظام التربوي له دور مهم في ذلك، لكن العلاقات العائلية القوية يمكن أن توازن المواقف المدرسية الصعبة أو حتى التغلب عليها، فكثير من أولياء الأمور يستطيعون المحافظة على دافعية أطفالهم بالرغم من المواقف التربوية غير المثالية، أو المعوقات الأخرى التي تعمل عادة على خفض الدافعية.

عوامل أخرى: يعد اكتشاف المعوقات الإضافية التي تحول دون حماس الطالب ودافعيته للتعلم أمراً ضرورياً لأي تدخل إيجابي لحل المشكلة. فسلوكيات الأطفال ليست مجرد حوادث عشوائية؛ بل إن كل أنماط السلوك -حتى غير التكوينية منها- مدفوعة لتحقيق حاجة ما عند الطالب. فما الحاجة التي يسعى السلوك غير المرغوب لتحقيقها؟ وهل هناك طرق أخرى لذلك؟

إذا شعر الطالب مثلاً أنه أسيء فهمه أو أنه مكتئب، فلن يكثر أبداً بالتحصيل المدرسي. وإذا كنت على صراع مستمر معه على السلطة، فإن جهودك لرفع دافعيته لن تكون ناجحة. لقد اكتشف كل الآباء تقريباً أنك تستطيع أن تطلب إلى طفلك الجلوس في غرفته ومعه كتبه المدرسية، لكنك لن تستطيع بحال من الأحوال إجباره على العمل أو على التعلم. وإذا تحول العمل المدرسي إلى ساحة معركة، فإن الطالب الموهوب قوي الإرادة هو المنتصر دائماً، لكن ذلك سيكون مقابل خسارة شخصية؛ مع الانتباه إلى أن إطالة زمن هذه المعركة لا يخدم سوى تأخير الدافعية الذاتية عنده. يعيق الصراع المستمر علاقتك مع طفلك ويحول دون بناء تواصل حقيقي قد يؤدي إلى حل المشكلة. بإمكانك مساعدة طفلك على تعرف الصعوبات التي تعيق دافعيته ومن ثم عملاً معاً على إزالتها. العالج الإحباطات التي يشعر بها، ساعده على الشعور بالانتماء والتقبل، ابتعد عن الصراع معه على السلطة، ثم ساعده على إيجاد الأسباب التي تدفعه إلى التعلم.

يعرض جدول (٦) بعض أهم أسباب انتشار تدني الدافعية والتحصيل بين الأطفال الموهوبين. وإذا عدت هذه العوامل أسباباً لتدني التحصيل، أمكنك اكتشاف طرق جديدة للتعامل مع طفلك.

من أين تكون البداية؟

إذا انطبقت إحدى العبارات الواردة في الجدول أعلاه على طفلك، فتأكد أن الأمور يمكن أن تتحسن. نادراً ما يكون الأطفال الموهوبون متدني الدافعية؛ وإنما هم متدنو الدافعية في المجالات التي يعتقد الآخرون أن دافعيتهم فيها يجب أن تكون مرتفعة، حيث تظهر قضايا الدافعية في مجالات معينة من الحياة اليومية. فقد يرغب الطفل مثلاً أن يتعلم كل ما يتعلق بمجالات اهتمامه ولكنه لا يريد أن يتعلم قواعد النحو أو الإملاء أو الخط الحسن. وقد لا يرغب أن يعرف كيف توصل إلى حل مسألة الرياضيات، وإنما يريد فقط أن يكتب الإجابة التي حسبها في عقله. وقد يبدي الطفل أحياناً مشكلات في الدافعية في مواقف غير مدرسية.

جدول ٦: الأسباب المحتملة لتدني التحصيل ونقص الدافعية^١

- محاولة الانسجام مع الزملاء؛ فالتحصيل المرتفع غير مقدّر بين زملاء الصف.
- المهمّات التي يكلف بها الطفل ليست ممتعة أو مهمّة أو مرتبطة بحياة الطفل الموهوب.
- يعدّ تدني التحصيل تعبيراً عن رغبة الطفل في إظهار استقلالته وذاتيته.
- يستطيع الطفل الحصول على السلطة بالسيطرة على الأمور بعيداً عن الوالدين والمعلمين.
- قد يعبر الطفل عن غضبه من الوالدين والمعلمين "بالإضراب" عن العمل المدرسي.
- قد يكون من السهل أحياناً الانسحاب من الموقف بدلاً من الانصياع لطلبات الآخرين.
- قد يخشى الطفل أن يؤدي نجاحه إلى بعض الضغوط؛ فالآخرين سيتوقّعون منه المزيد.
- جذب انتباه المعلمين والوالدين.
- رغبة الطفل في تجنّب الدخول في مخاطرة؛ فقول الطفل "إنني لم أبدأ جهداً في ذلك" يمكن أن ينقذ ماء وجهه.
- محاولة الحصول على الانتباه والتعاطف تعبير عن مدى اعتماد الطفل على الآخرين.
- هناك تركيز كبير على الحوافز الخارجية المسئولة عن التحصيل، بينما يكون التركيز في التعلّم على المكافآت الداخلية.
- عدم قدرة الطفل على التفكير في أهداف مستقبلية أو حتّى التخطيط لها.
- ضعف عادات الدراسة عند الطفل أو غياب تعلّم طرق تنظيم المادة الدراسية.
- سهولة تشتت الطفل، وهو ذو شخصية اندفاعية تعيق العمل الأكاديمي والمثابرة عليه.
- يشعر الطفل بالإحباط بسبب إعاقة أو صعوبة في التعلّم.
- انشغال الطفل بقضايا أخرى، مثل الصراعات العائلية.
- شعور الطفل بعدم التقدير وإساءة الفهم، والاكنتاب وعدم فهم الذات.

ما الذي يراه الطفل مهماً؟ تذكّر أنّ تدني التحصيل يكون من وجهة نظرك أنت. ففي غالب الأحيان لا تكون مجالات اهتمامك مهمّة بالنسبة للأطفال الموهوبين في هذا الموقف على الأقلّ، أو ربما تكون بعض الأمور الأخرى أكثر أهميّة منها. فقد تكون درجة (ج) مثلاً، من وجهة نظر الطفل، درجة مناسبة وكافية؛ لأنّها في نهاية المطاف درجة ناجحة. أو قد يكون التحصيل الأكاديمي عند الطفل هامشياً، بينما يكون إنجازها عالياً جداً في مجالات أخرى مثل الرياضة، أو الموسيقى والغناء، أو القيادة، أو المشاركة في المناسبات الاجتماعية. لا يعدّ تحصيل الطفل في هذه الحالات متدنياً من وجهة نظره، سيكون هناك فرق بين أهدافك وأهدافه. وتظهر لدى الطفل في هذه الأوقات أمور أكثر أهميّة من تلك التي تريده أنت أن يقوم بها. فالذي يملئ عليه برنامجه هي حاجاته الراهنة التي لا تتوافق في غالب الأحيان مع حاجاتك أنت.

إذا أردنا تغيير دافعية شخص ما، فعلينا البحث عن شيء يحبه أو يحتاج إليه، أي؛ علينا أن نتأكد أنّ دافعيته منبعثة من داخله، ثمّ نعدّل تلك الدافعية أو نعيد توجيهها من جديد، وهذا لا يعني أن تعتمد على الأشياء المرغوبة في التحكم بدافعية الطفل؛ لأنّ ذلك ما يقول إنه «يريده». علينا أن نبحث عن الدافع الذي يحرك السلوك غير التكيّفي بدلاً من ذلك.

يستعمل أولياء الأمور والمعلمون أحياناً في محاولاتهم لإثارة دافعية الطفل بعض المصقات أو الرموز أو النقود للثواب أو العقاب في برامج تعديل السلوك. لكنّ ذلك يغيّر السلوك مؤقتاً فقط.

لا تنجح هذه الأساليب على المدى البعيد؛ لأنّ الأطفال ينظرون إليها على أنها محاولات للتحكم بهم وضبطهم. ويفضّل كثيرٌ من هؤلاء الأطفال الموهوبين ذوي الإرادة القويّة أن يتخلّوا عن بعض امتيازاتهم، بل يتحمّلوا النتائج القاسية لسلوكهم على أن يستسلموا لما يسمّونه «لعبة السلطة» التي يمارسها الكبار. يضاف إلى ذلك أنّ هذه المكافآت قد تقلّل من الدافعية فعلاً؛ لأنّ الطفل سيبدأ بعمل الأشياء لمجرد الحصول على المكافأة وليس حباً بالنشاط الذي يمارسه^{١٥}. وبالرغم من أنّ الأشياء المادّية تزوّد الطفل بدافعية مؤقتة، إلّا أنّ الاحتمال الأكبر يتلخّص في أنّ تفهّم الطفل وشعوره بالانتماء سوف يمهدان الطريق إلى الدافعية الذاتيّة.

هل أنت ممّن يتفهمون الطفل، أم من الذين يفرضون عليه مطالبهم؟ لا تنجح الأساليب التي تطالب الطفل أن يحسّن دافعيته بعبارات مثل، «لأنّني قلت ذلك!» أو «لو أنّك استعملت عقلك جيّداً في هذا الأمر لاستطعت أن ترفع درجاتك، فأنت بالتأكيد طفل ذكيّ بما يكفي لتحقيق ذلك!»، أو «أريدك أن تأخذ العمل المدرسيّ على محمل الجدّ، وإلّا...». لا تجدي المحاضرات الطويلة والعقاب نفعاً في تحسين دافعية الأطفال، وهما حتماً يؤثّران سلباً على علاقاته بالوالدين. هناك كثير من أماكن العمل ترفع عبارات ساخرة مثل «الضرب سوف يستمرّ حتّى تتحسنّ المعنويات.» يستمتع الموظفون بالمرح والدعابة لأنهم يدركون أنّ العقاب البدني غير فعّال.

قد تكون محاولة رفع دافعية الطفل المتدنيّ التحصيل عمليّة صعبة فيها قدر من التحديّ، وتستهلك وقتاً طويلاً، غير أنّ هناك العديد من الطرق والأساليب التي تفيد في ذلك. تذكّر دائماً أنّك قد تحتاج وقتاً طويلاً يمتدّ أحياناً أسابيع أو شهوراً كي ترفع دافعية طفل وقع فريسة نمط ثابت وعنيد من التحصيل المتدنيّ. وبما أنّ هذه المشكلة لم تتطوّر في يوم واحد أو أسبوع واحد، فإنّها لن تذهب في يوم أو أسبوع واحد كذلك. وربما تحتاج إلى قدر كبير من الصبر، فمن المتوقّع أن يكون التقدّم في حلّها بطيئاً ويحدث بخطوات صغيرة. تذكّر أيضاً أنّ تدنيّ التحصيل يكون متقطّعاً ومتفرّقاً، فقد يحدث في حصص دون أخرى، وفي سنوات دون غيرها. وكلّما زادت مواقف تدنيّ التحصيل التي يمرّ بها الطفل، زاد احتمال أن يتحوّل التحصيل المتدنيّ إلى نمط مزمن عنده^{١٦}.

الخطوة التالية: اكتشاف اهتمامات الطفل

سيكون عملك مع الطفل الموهوب أكثر فاعلية إذا بدأت بمجالات اهتمامه ثم تحركت تدريجياً نحو تعديل دافعيته بالتشجيع والنجاح، لكنّ الوالدين في غالب الأحيان، يصرّان على أن يتغيّر الطفل فوراً بعمل ما يريدانه منه. فقد يقولان له مثلاً: «إذا رفعت مستوى درجاتك وحافظت عليها طوال الفصل، فإننا سننظر إذا كنت تستحق الدّراجة الجديدة، (أو أي شيء آخر)». وهذا شرط صعب جداً عند معظم الأطفال، ولو كان السلوك المرغوب بهذه السهولة، لفعّله منذ وقت طويل. إنّ واحداً أو أكثر من الأسباب التي ذكرت آنفاً يمكن أن تسهم في حدوث التحصيل المتدني.

وعيك أن تعرف إجابات عن أسئلة محددة مثل: ما الذي يهتم به طفلك الآن؟ هل لديه رغبة معينة؟ ما الدوافع التي كانت تحركه في الماضي؟ ارجع في ذاكرتك إلى الأوقات التي كانت دافعيته فيها مرتفعة. في أي المجالات تبدى دافعيته الآن؟ ومع من؟ ناقش هذه المواقف مع طفلك كي تساعد على تذّكر مشاعر الإثارة والنجاح. ربّما تطلب إليه أن يخبرك عن أسباب عدم اهتمامه وتردده في إنجاز المهمّات التي تطلبها منه. فالتواصل يمكن أن يكون مفتاحاً مهماً من مفاتيح الدافعية.

إذا استطعت أن تكتشف أو تحدّد الحماس الموجود أصلاً في طفلك، فإنّه يمكنك التوصل إلى طرق للبناء على هذه الدافعية الداخلية، أو إعادة توجيهها، أو التركيز عليها من جديد، وقد يكون بإمكانك اكتشاف أساليب تحوّل بها تلك الدافعية نحو مجالات جديدة لا يهتمّ بها الطفل كثيراً حتّى هذه اللحظة. فالطفل الذي لا يهتمّ مثلاً بالقواعد النحوية أو الإملاء أو الخطّ اليدوي، قد يبدي رغبة ملّحة بحشرات أمريكا الجنوبية، فحاول أن تشجّعه في هذه الحالة على كتابة رسالة إلى أحد الكتاب في مجلة ما يسأل فيها عن إجابات لبعض القضايا المطروحة في مقالته. ويمكن أن تصحّه أن تكون رسالته أنيقة، وخالية من الأخطاء النحوية والإملائية حتّى لا ترفض المجلة استقبالها على اعتبار أنّها مجرد رسالة من طفل صغير. وقد تقوم أنت أو شخص آخر يختاره الطفل بمراجعة الرسالة قبل إرسالها للمجلة، فتصبح المهمّات التي لم تكن ذات قيمة عند الطفل مرتبطة جيّداً باهتماماته وتزيد أهميّتها في نظره. لقد تحوّلت دافعيته إلى مجال جديد، وتعلّم أموراً جديدة في أثناء هذا التحوّل.

إذا أردت أن ترفع دافعية شخص ما، فمن الأفضل أن تقدّم له أفكاراً أو مهمّات ذات علاقة بحاجاته، وتحوّل دافعيته إلى مجالات جديدة تتطلّب منك فهم حاجاته وسبب أهميّتها عنده. تذكّر أنّ الناس يتصرّفون انطلاقاً من حاجاتهم هم لا من حاجاتك أنت. ما مشاعر الطفل في هذا الوقت بالذات؟ قد يكون الأمر المهمّ عنده ألا يغامر بالفشل، أو الفوز على المعلم أو الأب في أحد الصراعات على السلطة. يمكنك بناءً على ذلك أن تحدّد من وجهة نظره هو أسباب المقاومة أو الانسحاب أو الرفض التي يبديها نحو الكبار، وبالتالي تتفهم ذلك وتقدره. ثمّ بإمكانك بالتحوّل اللطيف مساعدته على معرفة الطرق البديلة لفهم الموقف بحيث لا ينتج عنها أي شكل من أشكال الهزيمة الذاتية، وتؤدي في نهاية المطاف إلى تغيّرات في السلوك.

من الأهميّة بمكان المحافظة على اتّجاهات الطفل المرغوبة بصرف النظر عن مجالات الاهتمام. فالقراءة على سبيل المثال مهما كان موضوعها، تنعكس إيجابياً على شكل تحصيل مرتفع. فإذا كان

الطفل يرغب في قراءة مجلات الرياضة فقط، اسمح له بذلك فهو يمارس القراءة على أية حال، وسوف ينتقل لاحقاً إلى موادّ واهتمامات قرائية أخرى حتماً. إنّ من الأمور المهمّة جدّاً مساعدة الطفل الموهوب على تطوير «جزيرة للتمييز» في وقت ما من حياته، والمحافظة على تلك الجزيرة التي تعدّ مكاناً ينمو فيه الطفل ويتطور باستمرار وبحماس. فقد يكون متحمساً في المتحف، وفي التعلّم عن السيّارات، أو في دراسة الفلك، أو قراءة روايات الجريمة المخيفة. وسوف يكون من الممكن تحويل اهتمامات الطفل لاحقاً، حتّى لو كانت اهتماماته الخاصّة خارج نطاق الخبرات المدرسيّة.

مشاركة الطفل في إدارة ذاته

من المهمّ مساعدة الطفل الموهوب على الاستقلالية و الاعتماد على الذات. فقد أثبتت الدراسات التي تناولت طفولة الراشدين الناجحين والبارزين أنّ والديهم كانوا يشجعونهم على المبادرة، والاستقلالية، ويوفّرون لهم الفرص لمواجهة التحديات^٧. فالأطفال الموهوبون يمكن أن يتعلّموا في وقت مبكرّ من حياتهم كيف يدافعون عن أنفسهم ويفاوضون الكبار كي يشعروا بمشاركتهم و«ملكيتهم» لما يفعلونه كلّ يوم.

قد يفاوض الطفل الموهوب معلّمه حول «عقد تعلّمي» يسمح له بإجراء «تسكين» للعمل الأكاديمي الذي أتقنه، ممّا يوفّر له بعض الوقت ليتابع شيئاً آخر من اهتماماته. لا يقوّي هذا التفاوض موقف الطفل فحسب، وإنّما يزوّد المعلّم أيضاً بالفرصة لتحويل دافعية الطفل.

يعدّ التفاوض مهارة يستعملها الأطفال الموهوبون في مسيرة حياتهم كلّها، غير أنّ عدداً محدوداً من العائلات يعلّم الأطفال هذه المهارات في المنزل. وبينما يبدو بعض الأطفال الموهوبين على مستوى عالٍ من فنّ التفاوض، لا سيّما في خصمّ الصراعات على السلطة، فإنّ بعض التعديلات على هذه المهارات تكون ضروريّة في المواقف التي تحدث خارج المنزل. وقد يصبح أطفال موهوبون آخرون مفاوضين ماهرين بحيث يرغبون في إجراء المفاوضات في كلّ فرصة تسنح لهم. سنناقش في الفصل القادم ضرورة وضع قيود حازمة لمثل هذه المواقف.

تزيد مشاركة الطفل في تحديد الأولويّات من استثماره لقدرته، وتطوّر إحساسه بالمسؤولية الذاتية؛ ممّا يرفع الدافعيّة بشكلّ عام. والأطفال الذين يطوّرون شعوراً بالاستقلال الانفعالي عن المعلمين والزملاء أقدر من غيرهم على إدارة أنفسهم، وهم في الغالب يبدون مزيداً من توكيد الذات وحبّ الاستطلاع والتحصيل، أمّا الأطفال الذين لا يسمح لهم برفع أصواتهم لعرض آرائهم أو شكواهم في المنزل أو في المدرسة، فإنّهم يستشعرون عدم وجود من يهتمّ بهم، وينقلوا له مخاوفهم ومشكلاتهم. سوف يعتمدون على الآخرين ويشعرون بالإحباط، وبالتالي فإنّهم لا يملكون سوى طرق محدودة لتغيير الموقف، وسيتعلمون العجز والاستسلام. لذا عليك أن تشجّع المشاركة المناسبة النشطة كي تجنّب الطفل هذا «العجز المكتسب».

ما الذي يدفع الناس ويحركهم؟

تشير الدوافع البيولوجية - إلى حدّ ما - السلوك وتشحنه وتوجّهه وتحافظ عليه، فمعظم الناس مثلاً يندفعون بقوة نحو الأنشطة التي تؤمّن لهم مقادير كافية من الطعام، أو الشراب، أو الأمن، أو الانتماء، أو الحبّ. ويمتلك بعض الناس حباً فطرياً للاستطلاع ودافعاً نحو الإتقان والإنجاز.

لقد طوّر أبراهام ماسلو Abraham Maslow ورفاقه نظرية كلاسيكية ترى وجود سلم من الحاجات التي تحدّد دوافع الناس وسلوكهم^{١٨}. وعندما تفهم هذه الهرمية فإنك ستفهم لماذا يتصرّف طفلك بطريقة معيّنة، وكيف تتغيّر دوافعه كلّما تقدّم في العمر، أو تغيّرت المواقف.

وطبقاً لنظرية ماسلو، هناك ثماني حاجات متتابعة تعكس التطوّر الإنساني من الطفولة إلى الرشد. تتطوّر هذه الحاجات من أكثرها بساطة إلى أكثرها تعقيداً، حيث تترتب الحاجات البسيطة الأساسية في الأولوية أكثر من الحاجات المعقّدة المتطوّرة. وتنتشر الحاجات الأساسية عادة بين الأطفال الصغار، بينما تنتشر الحاجات المتوسطة المستوى بين الراشدين، ولا تظهر الحاجات عالية المستوى إلا في عدد قليل من الراشدين، هم غالباً المتفوقون عقلياً.

أساس النظرية - أربع حاجات أساسية

اعتقد ماسلو أنّ الحاجات الأساسية الأكثر إلحاحاً عند بني البشر كافة، هي:

أولاً: الطعام والماء.

ثانياً: السلامة.

ثالثاً: الانتماء والحب.

رابعاً: تقدير الذات ومشاعر الكفاءة.

تشكّل هذه الحاجات الأساس - أي ضروريّات الحياة عند الإنسان. فإذا طرأت مشكلة في إحدى هذه الحاجات الأساسية فإنها تبرز باعتبارها أكثر الضرورات أهميّة، وتعمل على توجيه دافعية الإنسان. ويجب على الحاجات العليا أن تنتظر حتى تشبع الحاجة الأساسية التي تسبقها.

الحاجات الفسيولوجية: (المستوى الأول): الجوع، والعطش، والراحة الجسميّة. يتعلّم الوالدان في وقت مبكر ألا يناقشوا طفلاً يشعر بالجوع أو التعب. والطفل الموهوب بما لديه من طاقة شديدة قد يحتاج إلى مزيد من الطعام أو الماء، أو إلى تناول وجبات سريعة متكررة. يبدو أنّ الأطفال الموهوبين أكثر عرضة للتأثر بهذه الحاجة، فقوتهم وقابليتهم الشديدة للإثارة تؤديان إلى مستويات عالية من النشاط العقلي والجسمي؛ ممّا يقود في نهاية الأمر إلى حاجات فسيولوجية مؤقتة كالجوع مثلاً. وكما سرى لاحقاً في الفصل الذي يتناول القوة أو الحدة والسعي إلى الكمال والتوتر، فإنّ بعض هؤلاء الأطفال يشعرون بالتعب الشديد؛ ممّا يجعلهم يجدون صعوبة في النوم.

ويشعر آخرون كأنّما « نفذ منهم الوقود» في أثناء النهار؛ فلا يتمكّنون من القيام بوظائفهم

العقلية أو الجسمية على أحسن وجه. ولذلك، عليك أن تتحقق من تلبية حاجات المستوى الأول قبل أن تحاول مساعدة الطفل على التركيز على مهمات جديدة. وقد أثبتت الدراسات أن الأطفال الموهوبين يتمكنون من إشباع هذه الحاجات بأنفسهم، عندما ينضجون ويتعلمون المهارات الأساسية لمواجهة المشكلات والتغلب عليها.

حاجات السلامة: (المستوى الثاني): الأمن، وغياب الأخطار والتهديدات. إذا شعر الطفل أن سلامته وأمنه معرضان للخطر، فإن هذه الحاجات سوف تغطي على الحاجات الأعلى مستوى منها. فالطفل الذي يخشى أن يضربه الآخرون أو يعتدوا عليه مثلاً، سيجد أن من المستحيل عليه التركيز على العمل المدرسي، لا سيما إذا شعر أنه غير مدعوم، ومعرض للأذى والسخرية. إن معظم الأطفال الموهوبين على وعي بالتوترات الموجودة في منازلهم، إضافة إلى احتمالات الخطر في العالم الخارجي. فالموت والطلاق وفقدان الوظيفة وحتى الحروب والهجمات المسلحة كلها محتملة الحدوث في المجتمع. وعندما يقلق الطفل حول أي من هذه الظروف، فإن قلقه حول أمنه وسلامته سوف يتعاظم. وقد يحتاج الطفل في هذه المواقف إلى توكيد من الكبار أنه في أمان. يضاف إلى ذلك أن الطفل الموهوب شديد الحساسية قد يستجيب بقوة للنقد أو العقاب البدني؛ مما يجعل حاجات السلامة تحتل المرتبة الأولى عنده. وقد يحتاج الأطفال الموهوبون أحياناً إلى معلومات وافية عن المواقف أو الأخطار المرتقبة لمساعدتهم على الشعور بالأمن والسلامة.

حاجات الانتماء والحب (المستوى الثالث): التقبل من الآخرين، والشعور بالارتباط مع الجماعة. عندما تلبى حاجات السلامة والحاجات البيولوجية للطفل على نحو جيد، فإنه سيركز على الانتماء إلى جماعة والفوز بحبها، ويتطور عنده شعور بالهوية الشخصية نتيجة انتمائه إلى العائلة والمجموعات الأخرى وتقديرها له. يدرك الأطفال الموهوبون في وقت مبكر اختلافهم عن غيرهم، فيشعرون بدافعية قوية للانتماء إلى مجموعة ما. ويتحقق الموقف المثالي في ذلك عندما يجدون أصدقاء يماثلونهم في صفاتهم، وقد يبحثون عن أصدقاء مختلفين لكل نشاط من أنشطتهم. وقد يضطر الأطفال الموهوبون أحياناً إلى إنكار ذواتهم الحقيقية، وإنكار موهبتهم مقابل أن يجدوا من ينتمون إليه، فيتحقق الانتماء عندئذ على حساب تحصيلهم الأكاديمي. وليس من الضروري بالطبع أن ينتمي الطفل إلى كل المجموعات، أو يحظى بتقدير الناس كلهم، لكنه يحتاج حتماً إلى خبرة ووقت طويلين لتمييز المجموعات المهمة من غيرها. ويمكن أن يتعرض الطفل إلى تأثير قوي جداً من الأقران حتى ينتمي إليهم مما يستنزف وقته وطاقته إذا لم يكن قد وجد فعلاً منطقتة المريحة الآمنة Comfort Zone وتعلم إدارة حاجات الانتماء بكفاءة.

الحاجة إلى التقدير: (المستوى الرابع): التقدير، والاحترام، والإنجاز، والكفاءة، والتقبل. بعد أن ينمو الطفل وتُشبع حاجاته الأساسية، تتركز دافعيته على أفعاله، وكيفية تقويم الآخرين له. هل يحترمون أفعاله ويتقبلونها؟ هل يشعر أن سلوكه فعال؟

تتزايد حاجة الطفل إلى إنجاز مهمات يرضي بها نفسه، ويصبح تقديره لذاته تدريجياً أكثر أهمية من التقدير الذي يحصل عليه من الآخرين، فيبدأ بتطوير قيمه الذاتية ومهاراته العقلية التي تدعم

جهوده الثابتة، وتحمله للإحباط، ونزوعه إلى المثابرة عندما تفشل جهوده الأولية.

وقد تتطور قيم الطفل أحياناً إلى رغبة في الشهرة الاجتماعية، والمكانة المرموقة والسمعة الطيبة، أو حتى السيطرة على الآخرين. عندما يحدث ذلك يثبت الطفل عند هذا المستوى الذي يكون في غالب الأحيان مرحلة عبور إلى مستويات أعلى، فيبدأ بالتركيز على الرغبة في الإتقان والكفاءة والاستقلال. وعندما تتزايد ثقته وينجح في المهمات التي تتطلب جهوداً أكبر من ذي قبل، ينمو تقديره لذاته وثقته بنفسه.

المستويات المتقدمة - أربع حاجات نمائية

بعد أن تُشبع الحاجات الأساسية الأربع إلى درجة معقولة، يستعدّ الطفل للتعامل مع المستويات الأربعة التالية التي يسميها ماسلو الحاجات «النمائية» التي تسمح للطفل أن يستمر في التعلم، والنضج، والتطور العقلي والانفعالي.

الحاجة إلى المعرفة والفهم: (المستوى الخامس) - التعلم، والفهم، والاستكشاف. يمتلك الأطفال جميعهم رغبة فطرية للتعلم، ولا يختلف الأطفال الموهوبون في ذلك، فنرى عند هؤلاء الأطفال دافعاً قوياً لاستكشاف الطريقة التي تعمل بها الأشياء، والبحث عن التناقض في كل ما هو موجود حولهم، وهذا جزء حيوي من إحساسهم بالإتقان، وامتداد لدافعيتهم نحو الكفاءة. ولا يكون تقدير الآخرين للطفل وإحساسه بالإتقان والإنجاز كافياً في هذا المستوى؛ إذ يبدأ الطفل الآن بالتفكير في قضايا أكثر أهمية وفي مضامين سلوكه في المستوى السابق. فقد يثير تساؤلات مثلاً، حول سبب حاجتنا إلى مضامين التقبل والاحترام من الآخرين.

الحاجات الجمالية: (المستوى السادس) - الانتظام، والترتيب، والجمال. يرى بعض الأطفال أن الجمال يتجسد في النظام والترتيب، في حين يعتقد آخرون أن المتعة تكمن في الفوضى التي غالباً ما يفرضون نظاماً عقلياً خاصاً عليها.

توجد متعة انفعالية في الكفاءة والإنجازات، وتشكل الأنشطة العقلية في هذا المستوى مكوناً انفعالياً قوياً؛ حيث تصبح أهواء الأطفال والراشدين واضحة تماماً. فهم قد يحبون الطبيعة أو الموسيقى أو الرياضيات. وكما قال أحدهم ذات مرة: «الرّسامون يجب أن يرسموا، والموسيقيون يجب أن يؤلفوا الألحان الموسيقية». وعليه، فإنّ الشخص في هذا المستوى ينشغل بالأنشطة التي تحقق له المتعة والسرور.

حاجات تحقيق الذات: (المستوى السابع): تحقيق الذات، وتحقيق القدرات الكامنة. لا يصل إلى هذا المستوى سوى نسبة قليلة من الراشدين، رغم أنّ بعض المراهقين الموهوبين وكثير من الراشدين الموهوبين يستشعرون دافعاً قوياً للوصول إلى قدراتهم الشخصية. إنهم يحققون خبرات «القمّة»، أو ما يسميه عالم النفس سيكزنتميهالي Csikszentmihalyi حالة «تدفّق» الخبرات المثلى Flow of Optimal Experiences¹¹. وعندما ينشغل الموهوبون في إحدى خبرات القمّة، فإنهم يفقدون الإحساس بالزمان والمكان. حالة التدفق، والخبرة الإنسانية المثلى عندما يدرك الشخص

قدراته، ويفتَهَمُ قابليتها للمزيد من التطوير، يولد ذلك في نفسه الإثارة والرضا. ويعمل الشخص عادة الأشياء التي تحقق الرضا بطبيعتها؛ لوجود دافع داخلي يحثّه على عملها. وقد يجد الموهوبون في هذا المستوى صعوبة في فهم الأسباب التي تحول دون تفحص الأشخاص الآخرين حياتهم أو تطوير قدراتهم وإمكاناتهم وتحقيقها، كما يفعلون هم تمامًا.

حاجات تجاوز الذات: (المستوى الثامن): مساعدة الآخرين في الوصول إلى أقصى إمكاناتهم، وتحسين العالم. وهو من أعلى مستويات تحقيق الذات في هرمية ماسلو، حيث تتجه سلوكيات الشخص في هذا المستوى، إلى تحقيق النفع للجنس البشريّ متجاوزةً بذلك حدود الذات. ولا شك أن ذلك يحقق الرضا للإنسان الموهوب، تمامًا كما يحققه إشباع حاجاته الشخصية، مع أن المستوى يؤدي في كثير من الأحيان إلى تقديم تضحيات كبيرة قد تصل إلى حدّ التضحية بالنفس.

ست خطوات عملية

قد تساعدك قوائم الدوافع كتلك التي اقترحها ماسلو، على تفهّم أن طفلك الموهوب المتدنيّ التحصيل لا يعاني من عدم الدافعية، وإنما هو مدفوع نحو حاجاتٍ أخرى غير التحصيل. فإذا أردت أن يتوسّع الطفل في دافعيته، أو أن يغيّرها، فإنك بحاجة إلى مساعدته على تلبية حاجاته الأخرى أولاً، لا سيّما الحاجات الفسيولوجية، وحاجات السلامة والانتماء، ومن ثمّ تركّز على طرق مساعدته في التحول إلى المجالات التي تعتقد أنت أنها مهمة.

يمكن أن تساعد الخطوات الست التالية على نجاحك في تحويل الدافعية عند طفلك:

أولاً: وفر بيئة تدعم الإنجاز والدافعية.

ثانياً: تجنّب الصراعات على السلطة.

ثالثاً: طور علاقة إيجابية مع الطفل.

رابعاً: زود الطفل بالإثارة والاهتمام والتحفيز.

خامساً: اقترح أهدافاً عامةً وأخرى فرعية مناسبة.

سادساً: اعتمد على النجاح التدريجي في بناء الدافعية.

تساعد هذه الخطوات طفلك على السير في خطوات صغيرة أخرى باتجاه التقدم الإيجابي في الدافعية والإنجاز. فهي كلها ذات أهمية، لكنّها قد تكون صعبة التنفيذ أحياناً. وقد تكتشف حاجتك إلى المرونة والصبر والتفهم، لا سيّما إذا كان طفلك متمسكاً جيّداً بأساليب وأنماط سلبية من الدافعية.

وفر مناخاً مناسباً للدافعية

العائلات التي تزود أطفالها بتوقعات عالية ومعقولة مصحوبة بدعم عاطفي قوي هي الأكثر احتمالاً لتنشئة هؤلاء الأطفال حتّى يحققوا طموحاتهم وقدراتهم وإمكاناتهم. فالطموحات العالية،

والالتزام، والمثابرة، والرغبة في استكشاف ميادين عقلية جديدة تتحدّى عقول الأطفال وتكون في أفضل حالاتها عندما تتوافر لهم بيئة داعمة سواء داخل العائلة أو خارجها^{٢٠}. وللأنشطة اللامدرسية دور مركزي في تطوير مواهب هؤلاء الأطفال، فقد أشارت البحوث إلى أن الأطفال الموهوبين - خاصة المراهقين منهم- الذين يشغلون أنفسهم بأنشطة خارج المدرسة كالنوادي، والاهتمامات اللامدرسية، والألعاب الرياضية، والأعمال الدينية، هم أقل احتمالاً للتحصيل المدرسي المتدني، كما أن ميول الشباب الموهوبين في المدرسة الثانوية تقودهم غالباً إلى إنجازات مميزة في الجامعة وفيما بعدها^{٢١}. تولد مثل هذه الأنشطة في نفس الطفل شعوراً بالحماص للإنجاز، وتشجعه على تطوير قدراته واهتماماته بالأعمال المستدامة. إن أنشطة كالموسيقى، والرقص، ودروس الفن، وتحديد وقت منتظم لأداء الواجبات المنزلية، والقراءة، تساعد الأطفال على تطوير مهارات إدارة الذات، وتوفّر لهم مناحاً مناسبة للدافعية^{٢٢}. كما أن الأطفال الذين لديهم أصدقاء يدعمون إنجازاتهم هم أقل احتمالاً من غيرهم لتدني التحصيل المدرسي.

إن أهم ما في الأمر هو أن طفلك يريد أن يتغير، وقد ترغب أنت أيضاً في هذا التغيير. ولهذا، تعامل معه بنوع من الاحترام باعتباره إنساناً، وانقل إليه رسائل تفيد أنك تهتم به وتقدره، وعبر عن رغبتك في فهمه، وازرع فيه الثقة بأن مشاعرك واهتمامك به حقيقة يستطيع أن يلمسها. بين له أنك تثق به، وبقدرته على التغيير، ثم وفر له مناحاً يشعر فيه بالراحة والتقبل وذلك بالإنصات إليه وفهم مشاعره، لا بالتحدّث والتوجيه وإلقاء الأوامر. يستطيع طفلك، عندئذ أن يفتح قنوات دافعيته ويحوّلها إلى مجالات جديدة.

تجنب الصراعات على السلطة

يمكن أن تؤدي الصراعات على السلطة إلى تدمير أجواء الدافعية. وهذه الصراعات ليست مجرد إزعاجات بسيطة، إنّما صراعات مطوّلة كتلك التي تحدث مع مراهق يرفض أن يقوم بواجبه المنزلي رغم أنه ذكي جداً، أو يرفض المشاركة في الاختبارات الصفية القصيرة، فيحصل على علامات متدنية نتيجة ذلك. إن أي طفل يخوض صراعاً على السلطة سينظر إلى المعلم أو الوالد باعتبارهما «أعداء». وقد يشعر أن الآخرين يحاولون التحكم في حياته أو يطلبون منه أن يضيّع وقته في أعمال ومهمّات لا قيمة لها. ويحاول الوالدان في صراعهما على السلطة مع الطفل أن يفرضا إرادتهما عليه، لكنهما لا ينجحان في غالب الأحيان.

يتطلب الصراع على السلطة وجود شخصين اثنين على الأقل. فإذا شعرت أن صراعك على السلطة مع طفلك غير مثمر، افعل ما بوسعك كي تنسحب من الموقف؛ فقد يكون ذلك الطريقة الوحيدة لتجاوز ذلك الصراع. وقد يكون من الأفضل أن تعلن لطفلك أنك قرّرت الانسحاب. أوضح لطفلك أنك قلق حيال المخاطرة بعلاقتك به، وأنك على ثقة أنكما معاً قد تتوصلان إلى حل مناسب. وعندما تنشغلان في صراع على السلطة، فإنكما تكونان مجبرين على العمل ضدّ بعضيكم بعضاً. ولا شك أن استغلال المقدار نفسه من الطاقة في العمل معاً يؤدي إلى نتائج أفضل من الصراع.

طُور علاقة إيجابية مع الطفل

قد تكون العلاقات الشخصية العامل الوحيد الأكثر أهمية في الدافعية^{٢٣}. فإذا أردت أن يغيّر طفلك سلوكه بطريقة ذات تأثير طويل الأمد، فإنّ علاقتك به تكون على جانب كبير من الأهمية. فأنت تعلم طفلك ما أنت عليه فعلاً، لكنك قدوة له فيما تريده أن يكون. والأطفال الموهوبون يتأثرون بما تفعل أنت أضعاف تأثرهم بما تقول. وأنت، بصفتك شخص ناضج، تتوافر لك الفرصة لتكون قدوة حسنة، تعلم طفلك الموهوب وتوجّهه إلى تطوير دافعية دائمة يستفيد منها في حياته الشخصية والمهنية.

ترتبط معظم الحاجات الإنسانية ارتباطاً وثيقاً بالتفاعل مع الناس الآخرين. ولا شك أنّ الارتقاء بالدافعية أو كبتها يحدثان نتيجة تفاعل الأطفال مع الآخرين حولهم. وتستطيع أنت بلا شك أن تتدبّر من طفولتك شخصاً أو شخصين ممّن تركوا أثراً إيجابياً في حياتك، كما يستطيع معظم الناس تسمية معلّم أو أكثر كان مصدر إلهام لهم في سنوات المدرسة، أو تسمية بعض الأصدقاء الذين وقفوا إلى جانبهم في الأوقات العصيبة. توقّع هؤلاء المعلمون والأصدقاء منك الكثير، لكنهم لم يوبخوك أو يعاقبوك إذا فشلت في تلبية تلك التوقعات. فقد كانوا، بدلاً من ذلك يشجعونك مرّة تلو مرّة، ولم تكن تعرف في حينه أهمية هؤلاء الأشخاص في حياتك. وربما لم تدرك ذلك إلا في وقت متأخر، عندما استطاع هؤلاء الناس التأثير فيك؛ لأنهم كانوا مهتمين اهتماماً حقيقياً بك وبنشاطاتك ومشاعرك وآرائك. فالعلاقات الشخصية إذن، دوافع قويّة، لكنّ نتائجها ليست بالضرورة فورية ومباشرة، فقد يمرّ وقت طويل أحياناً بين تشجيع الوالدين لأطفالهم وبين انعكاس نتائج ذلك التشجيع.

وقد يعمل الوالدان والمعلّمون بجدّ ونشاط لتوثيق علاقاتهم بالطفل، لكنّ شغلة الدافعية عند هذا الطفل لا تتوهج إلا بعد وقت طويل. ونحن ننصحك أن لا تياس في مثل هذه الحالات، واستمرّ في العمل على تطوير علاقتك بالطفل وتواصلك معه، فهذه العلاقات تشكّل نواتج إيجابية على المدى البعيد.

وكلّما كان للمهمة معنى شخصي وأثر انفعالي، زاد ميل الإنسان إلى تحقيقها. كذلك عندما تكون المعلومات مرتبطة بالعلاقات الشخصية التي تستمتع بها، زاد اهتمامك في اكتساب تلك المعلومات. وتتوافر لديك أنت، بصفتك أحد والدي الطفل، فرص عديدة للتأثير إيجابياً في دافعية طفلك بالاستفادة من علاقاتك به. فالوالدان اللذان يحبّان التعلّم ويشاركان الآخرين ويشجعانهم عن طريق علاقاتهم الودية الخاصة يغذيان التعلّم الذي يدوم مدى الحياة ويساعدان الأطفال على تطوير الثقة وتقدير الذات^{٢٤}. كما يحتلّ المعلّمون الذين يبدو عليهم الحماس وحبّ التعلّم والقدرة على الارتباط بالأطفال مكانة خاصّة عند الأطفال الموهوبين^{٢٥}.

تحدّى الطفل، ولكن قدّم له الدعم

هناك فروق قويّة بين شخصيات الأطفال، إذ يحتاج بعضهم إلى الحثّ أكثر من غيره. ويتضمّن جزء من كونك أباً أو معلّماً حثّ الطفل كي يوسّع قدراته، أو يجربّ خبرات جديدة، وقد ينزعج الأطفال منك إذا تحدّيتهم. فإلى أيّ مدى يمكنك أن تدفعهم؟

إليك القاعدة العامّة التالية: إذا شكّل دفعك الطفل تهديداً لعلاقتك به، عليك أن تتراجع فوراً - مؤقتاً على الأقلّ - حتّى تتأكّد أنّ علاقتك سوف تصمد أمام المبادرة بطلبات مستقبلية. إذا لم تكن واثقاً تماماً من قدرتك على السيطرة على النتائج، فمن الأفضل ألاّ تدفع الطفل في تلك الحالة^{٣٦}.

ما الذي يثير اهتمام الطفل؟ وما سبب أهميّة ذلك له؟ يعدّ ربط المهمّات بميول الطفل واهتماماته أمراً جوهرياً لتحسين الدافعية. وعليه، يكون من الصعب إكمال المهمّات التي لا يهتمّ بها الطفل إلّا على نحوٍ بسيط. يمكنك أن تزيد استثمارك لطفلك بدمج اهتماماته وميوله في المهمّات الموكولة إليه، وتغذية رغبته في الاستكشاف. فيمكن لفرصة تعليمية غير رسمية أو هامشية مثلاً أن تثير اهتمام الطفل في مشروع العلوم الذي كان يُفزع، وذلك بربط هذا المشروع بخبرات الحياة الفعلية. يلجأ كثيرٌ من معالجي تدني التحصيل عند الطفل الموهوب إلى تخفيض مستوى التوقّعات في محاولة منهم للوصول إلى النجاح والتحصّن. والأفضل من ذلك رفع مستوى هذه التوقّعات ودمجها بأنشطة تتحدّى الطفل غير أنّها ترتبط في الوقت نفسه باهتماماته وميوله. لقد وجد مربو الفرق الرياضية أفضلية أن تكون توقّعاتهم أعلى بقليل ممّا يعتقد اللاعبون أنّهم قادرون على أدائه.

يحبّ الأطفال الانخراط في الأنشطة التي تتحدّاهم أكثر من اهتمامهم بالحفظ الآلي مثلاً. فاشتمال الأنشطة على التحدي، وتزويد الأطفال في الوقت ذاته بالدعم الضروري الذي يؤدي إلى النجاح يمكن أن يساعدهم في بناء الثقة وعادات العمل المفيدة.

وقد يتفق الوالدان أحياناً مع الطفل على أنّ بعض المتطلّبات المدرسية لا معنى لها؛ ذلك لأنّها تبدو غير ضرورية أو مبتذلة ومكرّرة، أو حتّى مجرد مراجعة لمادة دراسية يعرفها الطفل جيّداً. تأتي هنا أهميّة التوازن اللازم للوالدين اللذين يرغبان في دعم المدرسة دون الاتّفاق معها في الوقت ذاته على التفاصيل. ويكون المفتاح في هذه الحالة علاقتك بالطفل والنقاش ثنائي الاتجاه الذي يدور بينكما. قد لا تتفق أنت بصفتك والد الطفل على بعض الأنشطة أو بعض جوانب فلسفة النظام المدرسي، لكنك تحتاج في الوقت ذاته إقناع طفلك أنّ بعض الاعتبارات العملية يجب أن تحتلّ سلّم الأولويات؛ لذا حاول أن تنقل للطفل احترامك للمدرسة والمعلمين حتّى عندما تختلف معهم، رغم أنّ ذلك قد يبدو غريباً بعض الشيء. فأنت تريد في نهاية المطاف أن تربي طفلاً يتقبّل آراء الآخرين حتّى وإن كانت مختلفة عن رأيه.

حدّد أهدافاً مناسبة لطفلك

تعدّ القدرة على توفير نوع من الجهد اللازم لتحقيق أهداف بعيدة المدى أمراً مكتسباً بالتعلّم. كما أنّ تأجيل الإشباع قد يكون صعباً، وتؤدي قوّة الأطفال الموهوبين إلى تبني أهداف عظيمة أو حتّى غير واقعية يصعب، إن لم يكن من المستحيل، تحقيقها. ويشعر الأطفال الموهوبون بالفشل عندما يخفقون في تحقيق هذه الأهداف. فهؤلاء الأطفال يحدّدون لأنفسهم أهدافاً متدنية المستوى أو أهدافاً غامضة، في بعض الأحيان (أن أكون منظماً مثلاً)، بحيث لا يتأكّدون فيما إذا كانت تلك الأهداف قد تحققت أم لا. وحتّى عندما يتحدّد الهدف بعيد المدى بالصورة المناسبة فإنّ الطفل

الموهوب نظراً لقلّة صبره، قد يجد صعوبة في تعلّم تحمّل الإحباط الذي ينتج عن عدم الوصول إلى ذلك الهدف بسرعة.

يجب أن يتعلّم الأطفال الموهوبون جميع المهارات المرتبطة بتحديد الأهداف وتحقيقها أكثر ممّا يحتاج الطفل العادي؛ وذلك بسبب ميل الطفل الموهوب إلى ما يسمّى «قفزات الأهداف» Goal Vaulting. يعني هذا أن يحدّد الأطفال هدفاً معيّنًا، ثمّ يقفزون قبل تحقيقهم الهدف الأوّل إلى تحديد هدف آخر جديد أعلى منه، وعندما لا يحقّق الأطفال الموهوبون هدفهم النهائي ينتابهم شعور بالفشل في تحقيقه رغم كلّ النجاحات التي كانوا قد حققوها في أثناء ذلك. ولا شك أنّ صياغة الأهداف، وكتابة أهداف فرعيّة ضروريّة من أجل تحقيق كلّ هدف منها.

تخطيط الخطوات: تعني الدافعيّة الذاتية الصحيحة أن يتعلّم الشخص تحديد أهداف آنيّة قابلة للتحقيق إلى جانب الأهداف بعيدة المدى. وقد يوجّه الراشدون الطفل لتحقيق ذلك بمساعدته على استنباط صيغة هدف أو عقد مكتوب، إلى جانب الخطوات الوسيطيّة اللازمة لتحقيق الهدف. ويمكن اعتبار تلك الخطوات أهدافاً فرعيّة للهدف بعيد المدى. وتحدد هذه العملية بوضوح جوانب التقدّم الذي يحرزها الطفل بدلالات ملموسة؛ ممّا يساعد على التخفيف من ميله إلى ما يسمّى «قفزات الأهداف». ويمكن أن يمنح الطفل نفسه مكافآت متكرّرة لقاء هذه النجاحات الجزئيّة للأهداف الفرعيّة، ويزوّد نفسه بالتعزيز و«محطّات الاستراحة» Rest Stops تمهيداً لتحقيق الهدف الكلّي النهائي، فيكون التركيز عندئذ على التحسّن وليس على الإتقان والكمال. فالأساليب التي يتعلّمها الراشدون في غالب الأحيان والمتمثلة في تحديد الأهداف والإدارة الذاتيّة واتّخاذ القرار يمكن أن تساعد الطفل الموهوب عندما يواجه لأوّل مرّة مهمّات تتسم بالتحديّ، وتتطلّب جهوداً دائمة.

يجب أن يتضمّن تحديد الأهداف قائمة بالخطوات والتواريخ المقترحة لتحقيق كلّ منها. فإذا أرادت طفلة أن تقود فريق المشجعين مثلاً، فإنّ عليها أن تتعلّم بعض أناشيد التشجيع، وتمارس بعض حركات الرقص والحركات البهلوانية الأخرى. وقد تحتاج عندئذ أن تفكّر في مقدار الوقت اللازم لتعلّم هذه المهارات، وإلى مساعدة الآخرين في تعلّم هذه الأنشطة الروتينيّة.

كيف ستعرف هذه الطفلة أنّها قد حققت الأهداف المرحليّة الآنيّة؟ إنّها ستعرف ذلك إذا حدّدت الخطوات، وبحثت في الإطار الزمني الذي يناسب كلّ خطوة، وقرّرت نوع المعلومات، أو الأدوات، أو المهارات اللازمة لتحقيقها، وقرّرت كيفيّة وصولها الهدف المنشود.

يساعد تقسيم الأهداف الكبيرة إلى مهمّات أساسيّة وواقعيّة ضرورية لتحقيقها يُشعر الأطفال بالتحكّم والسيطرة، وينمّي فيهم دافعيّة مستمرّة، ويساعدهم على مواجهة الإحباط. يحصل هؤلاء الأطفال على شعور بالإنجاز عندما يكملون الخطوات الوسيطيّة، فيبدو الهدف البعيد المدى عندئذ قريباً وسهل التحقيق. يتمّنّى كثيرٌ من الأطفال الموهوبين العزف على آلة موسيقيّة مثلاً، أو تصميم نموذج معقّد، فيكون إتقان نغمة بسيطة، أو إنشاء أحد مكّونات النموذج، في هذه الحالة هدفاً قصير المدى.

القيم: يتضمّن تحديد الأهداف وجود مجموعة من القيم الضمنيّة التي يرغب الشخص تحقيقها لأن

من الصعب تحديد أولويات سلوكك إذا لم يكن ما تريده واضحاً تماماً. فكما يقول المثل: ” إذا كنت لا تعرف إلى أين أنت ذاهب، فكلّ الطرق سواسية“. ويستفيد الأطفال الموهوبون من فحص قيمهم وهم صغار، حيث بإمكانهم تحديد الأولويات التي تساعدهم على الوقاية من المشكلات أو حلّها. وهذه قضايا مهمة سواء سُميت ”تربية الشخصية“ Character Education، أو ”توضيح القيم“ Values Clarification. ومن الكتب التي يمكن أن تساعد الأطفال الموهوبين على تعلّم كيفية تحديد الأهداف المرغوبة وصياغتها وتوضيحها وتحقيقها، كتاب بناء الذكاء الأخلاقي *Building Moral Intelligence*، وكتاب العادات السبعة للمراهقين مرتفعي الكفاءة *The Seven Habits of Highly Effective Teens*.

وهذه الكتب تساعد الموهوبين على تحديد القيم المحورية: التعاطف، وبقظة الضمير، والمسؤولية الأخلاقية، وال ضبط الذاتي، والاحترام، واللطف، والتسامح، والعدل.^{٢٨}

القيم والأهداف الأبوية: ما القيم والأهداف التي تسعى أنت إلى غرسها في طفلك؟ هل هدفك الرئيس أن يكون طفلك عالي الإنجاز والتحصيل براتب جيد وأمان وظيفي، أم أنك مهتم بأن يشعر طفلك أنه قد حقق شخصيته؟ أم أنك تريد الهدفين معاً؟ فإذا كنت كذلك، هل تعتقد أن أهدافك كوالد للطفل الموهوب، عملية وواقعية؟ ما أهدافك الوسيطة؟ هل أهدافك غامضة، أم أنك تعرف تماماً متى يصل طفلك إلى أحد هذه الأهداف؟ هل أهدافك تماثل أهداف طفلك، أم تختلف عنها؟ هل تتداخل أهدافك في علاقتك مع طفلك؟

ربما كان من أصعب التحديات التي تواجه الوالدين تحديد مدى تأكيدهم على دوافعهم الذاتية مقارنة بمقدار حاجتهم إلى مساعدة الطفل على اكتشاف دوافعه الخاصة وتطويرها. لاشك أنك قد عشت حياة أطول من حياة الطفل وبالتالي اتسع منظورك للأمر. وقد بينت الدراسات أن والدي الأشخاص البارزين كانوا يتدخلون جداً في حياتهم، ويشرفون عليها.^{٢٩} وقد ثبت أن قيم الوالدين كالعمل الجاد، والجهد المتواصل، والتعايش مع الفشل والتراجع، على درجة من الأهمية لتطوير الموهبة.^{٣٠} من جانب آخر، قد يصبح الوالدان أحياناً مهتمين اهتماماً كاملاً بطفلهم حتى أن حياتهما تتداخل وتتشابك مع حياته. و أحياناً قد تصبح الأهداف الوالدية القضية الرئيسة للعائلة، وتُهمل جوانب قوة الطفل ومواهبه والأشياء التي يفضلها.

هناك قصص عديدة عن والدين أرادوا أن يصبح ابنهما طبيياً أو محامياً، أو غير ذلك؛ لكنّ الطفل كان يريد وظيفة أخرى مختلفة. ولا يكون من مصلحة طفلك في هذه المواقف، ولا من مصلحتك، أن تستمر في الضغط عليه نحو تحقيق هدفك أنت. فللطفل كامل الحق في تحديد مسار حياته الخاصة. وقد يرى الوالد في طفله النجاح الذي طالما تمنّاه عندما كان صغيراً، لكنّه لم يتمكّن من تحقيقه. وقد يؤثر ذلك في العلاقات بين الطرفين وتكون الكلفة غالباً، أكبر من الفائدة على المدى البعيد.^{٣١} وكما قالت «آن ماري روبر»: Annemarie Roeper وهي من الرواد الأوائل في هذا الميدان: ”تقبّل نمو طفلك، وهو أمر يسبب لك البهجة، لكن تذكر دوماً أن طفلك ليس جزءاً منك.“^{٣٢}

أعتقد أنك قد واجهت بعض الأسئلة الصعبة من أولياء أمور آخرين، وأنت ربّما ستواجه مزيداً من هذه الأسئلة المتعلقة بأطفالك. هل أنت مهتمّ صراحة بأن يتواءم أطفالك مع التوجّه العام في المجتمع؟ هل ترغب أن تكون غير تقليدي، وتسمح لأطفالك أن يكونوا غير تقليديين كذلك؟ هل تتأثّر أفعالك وأهدافك المتعلقة بأطفالك برغبتك في التقبّل الاجتماعي؟ لاشك أن الوالدين يتعرضون أيضاً لضغوط الزملاء.

استثمر النجاح

ييدي الأطفال جميعهم تقريباً دافعية عالية، ويبدلون جهوداً كبيرة لتحقيق التميّز في مجال أو أكثر من مجالات الحياة. وتستطيع أنت، بعد أن تكون قد بنيت الثقة بطفلك، ونقلت له شعورك الصادق بالاهتمام به، «أن تمسك الطفل وهو ينجز شيئاً صحيحاً» وتبني على ذلك الإنجاز. إنّ هذا المنحى الأساسي، الذي يسمّى «النجاحات الملاحقة» - يستعمل على نطاق واسع في علم النفس والإرشاد وإدارة الأعمال^{٣٣}.

عزّز الخطوات الصغيرة: يشكّل المديح والتعزيز جانباً مهماً من منحى النجاحات المتتابعة. فمدرب الحيوانات يعرف أنّها بفطرتها لا تطيع الأوامر التي تطلب منها: أن «تجلس»، أو «تنام»، أو «تنتظر». وهو يدرك أهمية التعزيز حتّى عند البدء بعملية تعليم الحيوان التحرك نحو السلوك المرغوب. يجب على المدرب في هذه الحالة أن يبدأ مع الحيوان من حيث هو فعلاً، ثم يبدأ بتعزيز أقلّ المؤشرات التي تدلّ على سير الحيوان في الاتجاه المطلوب، ثمّ يعزّز خطوات أخرى تقود الحيوان نحو الهدف. قد تكون الخطوات صغيرة لكنّها يجب أن تُدعم إذا كانت في الاتجاه المرغوب.

ولا شك أنّ هذا الأسلوب نفسه ينجح في إثارة دافعية الطفل لإنتاج سلوك مرغوب؛ لذا عليك أن تكافئ الطفل وتشجّعهُ كلما خطا خطوات صغيرة في الاتجاه المرغوب. لا تتوقّع من الطفل أن يقفز قفزات كبيرة إذا كانت الخطوات الصغيرة تفي بالغرض. هذه الخطوات الصغيرة تستمرّ في دفع الطفل نحو السلوك المرغوب، ويُشعر تعزيرها الطفل بالنجاح. هذا النجاح هو الذي يولّد في الطفل مزيداً من الجهد ويؤدّي إلى نجاحاتٍ متتالية. قد تبدأ هذه العملية أحياناً بالتركيز على سلوك محدّد، كأن تقول للطفل مثلاً: «أشكرك على وضع درّاجتك في مكانها». ويمكن أن تركز العملية أحياناً أخرى على عملية أكثر عمومية من ذلك السلوك المحدّد، كأن تقول للطفل: «إنني معجب بطريقتك في السعي نحو مزيد من النظام والترتيب». أو حتّى: «إنني معجب بالطريقة التي تتحدّث فيها عن رغبتك في مزيد من النظام والترتيب».

عليك إذن أن تكافئ التقدّم الصغير في بداية الأمر، أو ربما تكافئ مجرد الجهد المبذول في المحاولة، ذلك أن تعزيز الجهود المبذولة يساعد في تطوير عادات جيّدة؛ لأنّ الأطفال الموهوبين ينجحون عادة عندما يبذلون الجهد. تذكّر أنّ الناس يتطوِّرون في الميادين التي يشعرون فيها بالمتعة، وهدفك هو مساعدة طفلك على إدراك أنّ تحقيق هذا السلوك الجديد يصبّ في مصلحته. وتكمن هذه المصلحة في إمّا أنّ هذا السلوك يحقّق لطفلك شيئاً ملموساً يؤدّ الحصول عليه - وهو ما يسمّى

مكافآت خارجية - أو أنه يحقق له إحساساً بالإشباع والارتياح - وهو ما يسمّى مكافآت داخلية. ومن الطبيعي أن يفضل الطفل أن يفعل شيئاً لمجرد أنه يحبّ فعله. لكن تذكر هنا أنّ الراشدين في غالب الأحيان، يقومون بأعمالهم لقاء المال أو أي مكافآت ملموسة أخرى، رغم أنّ كثيرين منهم يفعلون ذلك لقاء متعة داخلية يحسّون بها في عملهم. وقد يكون من الضروري أحياناً أن نبدأ بمكافآت ملموسة أولاً، شريطة أن تكون المكافآت بسيطة جداً بما يكفي لتحريك نشاط الطفل في الاتجاه المرغوب، فالسماح للطفل أن يقود السيارة مثلاً لا يكون مكافأة مناسبة لإتمام حل الواجب المنزلي في الرياضيات! فلا تظن أنّ هذا المثال مثيرٌ للفكاهة، فالوالدان في حالات كثيرة يُغدقون على أطفالهما مثل هذه المكافآت الكبيرة وغير الضرورية. ويمكن بدلاً من ذلك، الاعتماد على زيادة الوقت المخصّص لمشاهدة التلفزيون أو الحاسوب، أو زيادة الوقت المخصّص للعب مع العائلة، أو حتى زيادة مرّات معانقته، أو عدد كلمات الثناء والمدح، فهذه المكافآت البسيطة تترك أثراً بعيد المدى في تحفيز الطفل وتنمية العلاقات الإيجابية بينه وبين والديه.

اضبط الطفل وهو يفعل شيئاً صحيحاً - وكرّر ذلك مراراً: يعدّ تكرار منح المكافآت مهماً، وبصورة خاصّة لمساعدة الأطفال على تعلّم سلوك جديد لا سيّما في بدايته. فعندما يحاول الطفل تعلّم طريقة جديدة من السلوك لا يكفي إبداء الإعجاب به، أو تشجيعه، أو مدحه أحياناً فقط. فتكرار المكافآت والتعزيز من أحد أهمّ العوامل المنسيّة لمساعدة الناس على تغيير سلوكهم. يجب أن تتكرّر هذه المكافآت بما يكفي للمحافظة على السلوك الجديد إلى حين ظهور عوامل أخرى، منها السلوك الجديد نفسه، الذي يزوّد الطفل بالتعزيز. تذكر أنّ الناس يستطيعون تكرار العادات الراسخة جيّداً لديهم - أي ما يعرفون تماماً كيف يفعلونه. لكنهم عندما يحاولون ممارسة سلوك جديد، فإنّ ذلك لن يكون سهلاً في بداية الأمر. تذكر عندما حاولت تعلّم قيادة الدراجة الهوائية أول مرّة في حياتك، لقد بدا ذلك صعباً جداً في البداية ومن المؤكّد أنك شعرت بالارتباك، وبال حاجة إلى كثير من التشجيع، لكنّ هذه المهمّة بدت سهلة تماماً بعد أن أتقنتها، وأصبحت متعة ركوب الدراجة هي كلّ ما تحتاج إليه من التعزيز.

يكون تكرار تقديم المكافآت والانتظام في استعمالها أكثر أهمية في بداية الأمر من حجم المكافآت نفسها. فلا بدّ أن يكون التعزيز في البداية متكرّراً، ولكن يجب أن تصبح المكافآت بعد انتظام السلوك أقلّ تكراراً أو حتى متفرّقة. فالتعزيز المتقطّع يترك أثراً دائماً دائمة في سلوك الطفل ويساعده على التخلّص من الاعتماد الشديد على الآخرين. ويمكن فهم التعزيز المتقطّع من هواية صيد السمك. فلا يصطاد الشخص سمكة في كلّ رمية للصنارة، وإنّما يحصل على مكافآت - أي سمكة - بما يكفي للعودة ثانية إلى المكان نفسه.

لا تكافئ كلّ ما يقوم به الطفل، ولا تكافئ المحاولات الواهية السطحية بما تكافئ به الجهود المخلصة الجبّارة. وتذكر أن مدح الطفل على كلّ ما يقوم به من أفعال لا يضمن تحسين مستوى تقديره لذاته^٤. بل إنّ هذا المدح قد يؤدي إلى إحساس مزيف بالثقة، لا سيّما إذا كان ذلك المدح تعوزه الدقة أو الصدق، كأن تقول للطفل مثلاً: «هذه أفضل رسمة رأيته على الإطلاق».

يعرف الأطفال مقدار الجهد الذي يبذلونه، وهم حتّماً سيقدّرون مدحك لهم عندما يرتبط ذلك

المدح بجهودهم الفعلية، وعندما يعرفون أنك على وعي بتلك الجهود التي بذلها، وكي يكون المدح فعالاً لا بد أن يتجه مباشرة نحو السلوك، لأن تقدير الذات عند الطفل الموهوب قد يختلف عبر المجالات، كأن يكون في المدرسة، أو في المنزل، أو مع الزملاء.

فقد يصيح الطفل نتيجة الإفراط في مدحه مدمناً على المكافآت، فيكون «صياداً للغنائم» بدلاً من أن يتعلم الانشغال بسلوكات معينة لأنها ممتعة بذاتها^{٣٥}. ما نريد تطويره لدى الطفل على المدى البعيد هو أن يصبح مدفوعاً ذاتياً، فيتعلم أن يمدح نفسه أو يشعر بالفخر والاعتزاز عندما ينجز شيئاً مهماً. تذكر أن الأطفال جميعهم بمن فيهم مرتفعو الكفاءة والراشدون، يحتاجون إلى تعزيز من الآخرين من حين إلى آخر. لذا؛ حاول أن تبحث عن سلوك أو اثنين تمدح طفلك بسببهما يومياً.

تذكر أن توقيت المكافآت مهم أيضاً. يجب في بداية الأمر عدم الانتظار طويلاً قبل تقديم المدح أو المكافآت. فالمعززات الفورية هي الأكثر فاعلية. قد يتوقف طفلك عن ممارسة السلوك المرغوب إذا أجلت تعزيزه، وربما تفقد فرصة تعزيزه مرة أخرى. عليك أن ترصد الطفل في أثناء قيامه بفعل صحيح مبكراً ومراراً. يستعمل بعض الوالدين الرموز المؤقتة مثل الغمزة، أو الابتسامة، مكافآت صغيرة تساعد الطفل على المحافظة على السلوك المرغوب. ويكتب آخرون ملاحظات من نوع «أنا مدين لك بقطعة حلوى مميزة».

وتزداد أهمية توقيت التعزيز في المشاريع أو التغيرات طويلة المدى؛ لأن من الصعب أن يبقى الطفل مدفوعاً لتحقيق هدف بعيد المدى، مثل مشروع يفترض تسليمه خلال ثلاثة أسابيع، أو سلوك جديد يجب أن يستمر لمدة شهر كامل. إن تأجيل التعزيز، أو المحافظة على الجهد لوقت طويل أمر صعب يتطلب الدعم والمساندة من الآخرين لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بالأطفال. ومع ذلك فإن الوالدين يصران على الأطفال، ويتوقعان منهم غالباً إبداء تغيرات متوسطة وطويلة المدى. فقد يقولان مثلاً: «إذا برهنت لي أنك تستطيع القيام بهذا العمل مدة شهر كامل، فإنني عندئذٍ...». هذه العبارات الشرطية تهيئ للطفل مواقف تؤدي إلى الفشل. تذكر دائماً أن عليك توفير مواقف يعايش فيها الطفل الشعور بالنجاح بحيث تتمكنان معاً من الاستفادة منها لاحقاً. ومن هنا فإن التعزيز الذي يكون في الوقت المناسب ضروري لتقوية الجهد المبذول في مشروع طويل المدى.

استعمل «الثناء المرتقب»: يمكنك أن تزيد فرص النجاح باستعمالك الثناء المرتقب أو المتوقع، فأنت في هذا الثناء تمتدح ما تأمل أن يكون الطفل على وشك أن يفعله. ربما يكون طفلك قد عاد من المدرسة ودخل المنزل وهو على وشك أن يخلع معطفه ويلقيه على الأرض، كما يفعل دائماً. يمكنك في هذه «اللحظة المواتية للتعليم» أن تقول له: «شكراً لأنك وضعت معطفك في غرفتك، إنني أقدر لك هذه المساعدة في أعمال المنزل!». قد لا تكون هذه الفكرة قد خطرت على بال طفلك أبداً، لكن ثناءك المرتقب يحقق أربعة أمور هامة. فهو، أولاً، يذكر الطفل بما تتوقعه منه - سواء بالسلوك المحدد أو بتوقع العام أنه سيكون مسئولاً عن تصرفاته. والأطفال عموماً يرتفعون بأنفسهم إلى ما تتوقعه منهم، وقد يخذلوننا ولا يحققون توقعاتنا منهم. أما الأمر الثاني، فيتأخص في أن طفلك سيكون أكثر احتمالاً للقيام بالسلوك الذي تريده أن يقوم به، أو الذي يفترض به أن يفعله، وذلك لأنك تكون قد

ذكرته به. والأمر الثالث، هو أنك ستتمكّن من مدحه وتعزيزه، ممّا يجعله أكثر احتمالاً لممارسة ذلك السلوك نفسه في المستقبل. وأخيراً، فإنّ الثناء المرتقب يجنّب الوالدين ما يفعلانه معظم الأحيان، وهو انتقاد الطفل؛ لأنّه ” قليل التفكير وكثير النسيان“، والصراخ عليه“ عد إلى هنا الآن، حاول أن تكون أكثر احتراماً وتقديراً لأفراد العائلة“.

لا يحقّق الثناء المرتقب نتيجة مرغوبة دائماً. فقد يقول طفلك مثلاً: ”ماذا؟ لم أكن أريد تعليق المعطف“. ومع أنّ تعليقه هذا يمكن أن يشكّل فرصة لتصعيد الصراع على السلطة، إلا أن أسلوب الثناء المرتقب ما زال يوفر لك فرصة أخرى لتجنّب ذلك الصراع. فقد تقول له: ” لقد ظننت أنك ستعلق المعطف. هلاً أخذته الآن إلى غرفتك لو سمحت؟ إنني أفدّر لك ذلك حقاً!“. وما لم يكن هناك تاريخ طويل من صراع السلطة، فإنّ معظم الأطفال سيأخذون معاطفهم إلى غرفهم عند سماع هذا الطلب، وقد يفعلون ذلك وهم يهزون رؤوسهم إشارة إلى عدم إيمانهم بما يقومون به.

يمكنك أن تستعمل الثناء المرتقب لمدى واسع من السلوكات. وكلّما جرّبت هذا الأسلوب، فإنك ستكتشف مدى قوّته ونجاحه. فالطفل الذي يكثر من مقاطعة الآخرين في أثناء المناقشات مثلاً، سوف يستجيب جيداً لقول: ”إنني معجب حقاً بمحاولتك تذكّر عدم مقاطعة الآخرين“. وقد تقول للطفل الذي تعود على المماطلة والتسويف ويبدو عليه الحزن ” يبدو أنك مستغرق في التفكير، ربّما بسبب قلقك على المشروع الذي يفترض أن تسلمه للمعلّم الأسبوع المقبل. إنني مسرور لأنك تحاول أن تخطّط للمستقبل، وتنجز ما هو مطلوب منك قبل موعده المحدّد“. يمكن أن يترك الثناء المرتقب -خلاف الأنواع الأخرى من الثواب-، آثاراً إيجابية، حتى وإن لم يكن دقيقاً تماماً.

وقد يتردّد بعض الوالدين في استعمال الثناء المرتقب قائلين: ”ألن يتمكّن هؤلاء الأطفال الموهوبون من رؤية الحقيقة اعتماداً على ما نفعله وليس ما نقوله؟“ إنّ بعضهم قادرٌ على ذلك فعلاً. وقد يقول بعضهم: ”إنك تستعمل معي الثناء المرتقب، أليس كذلك؟“ وليس من الضروري أن يكون هذا الوعي أمراً مؤدياً. فقد تقول له ببساطة ”نعم، إنني استعمل هذا الأسلوب. وإنني أفضله على أسلوب النقد والتذمّر، فما رأيك في ذلك؟“ يوافق معظم الأطفال على أنّ هذا البديل أفضل فعلاً من النقد والتجريح. وقد تشير كذلك إلى أنّ المطاعم والمسارح تستعمل هذا الأسلوب عندما يلصقون رسائل للزبائن تقول مثلاً: ”شكراً لعدم التدخين“ أو ”شكراً لعدم الإزعاج“.

أساليب واستراتيجيات أخرى

فيما يلي استراتيجيات إضافية يمكنك توظيفها لمساعدة طفلك على تطوير الدافعية والمحافظة عليها وإعادة توجيهها.

ركّز على الجهد وليس على الناتج فقط: قد يبذل الأطفال الموهوبون أحياناً، جهداً بسيطاً رغم أنّ أداءهم أو نتائجهم تكون عظيمة. فقد يحصل أحد الأطفال الموهوبين مثلاً، على تقدير امتياز في سنوات دراسته جميعها، أو يحصل على معدّل تراكميّ (٩٩٪) في الموادّ الدراسيّة كلّها؛ لأنّ المهمّات التي تشملها هذه الموادّ لا تمثّل له تحدياً مناسباً. فإذا كان تركيزك على النتيجة فقط، فإنك تكون قد

كافأت الجهد الأدنى الذي بذله الطفل، دون أن يتعلّم الرابطة بين الجهد والنتيجة. إنّ من الأفضل أن يعزّز الجهد الجيّد، حتّى وإن تحققت النتائج على نحو جزئيّ فقط.

انتبه إلى إنجازات الطفل وقدر أهميتها: يدرك معظم أولياء الأمور أهمية ملاحظة إنجازات الطفل، لكنهم ينتبهون أحياناً إلى فشل الطفل أكثر من نجاحه. فقد يتجنّبون مثلاً نقاش الطفل في الموادّ الدراسية التي أحرز فيها تقدير امتياز، أو جيد جداً، مع أنّها قد تكون هي الأغلبية. فإذا كانت درجاته المدرسيّة كلّها بمستوى «أ» ، وكانت إحداها فقط بمستوى «ب»، فإنّهما يسألانه على الفور «لماذا حصلت على «ب»؟ من الأفضل في هذه الحالات أن تقول للطفل، ولو في البداية على أقلّ تقدير: «يحقّ لك أن تكون مسروراً بهذه الدرجات العالية!»، فالإشارة إلى التقدير «ب» فقط، تبعث برسالة إلى الطفل مفادها أنّه لم يحقق إنجازاً كافياً؛ ممّا يغذي التفكير السلبيّ والسعي إلى الكمال لدى الطفل.

شارك الطفل في الأنشطة المشتركة: يقوم الوالدان أحياناً بأعمالهما في جزء معيّن من المنزل، أو في وقت معيّن من اليوم، ويتوقّعون أن يقوم الأطفال بأعمالهم في مكان آخر أو في وقت مختلف. نادراً ما يحصل الأطفال في هذه العائلات على فرص يتبيّنون فيها كيف يتعامل الوالدان مع قضايا الدافعية والتحصّل. لكن عندما تنجز مشروعات مشتركة بينك وبين طفلك، فإنّه سيرى عاداتك في العمل ومهاراتك في الدافعية. قد تتمثّل هذه المشروعات في المساعدة على أعمال الحديقة، أو الأعمال المنزليّة الروتينية، أو المشاركة في بعض الرياضات أو الهوايات، وقد يستطيع الأطفال رؤية حماسك لشيء متعلّق بالعمل. تزوّد مثل هذه المشاريع المشتركة الأطفال بفرص ممتازة لرؤية مدى سعادتكم وابتهاجك عندما تكون أعمالك متقنة وناجحة، وتنقل للطفل قيمك واتجاهاتكم نحو العمل، إضافة إلى بعض المبادئ المهمّة لك مثل الصبر، وتحمل الإحباط. وتنميّ الأنشطة المشتركة العلاقات بينك وبين أطفالك، وتجعل العلاقات الجيدة الأخرى هذه الأنشطة أكثر إمتاعاً. لا شك أنّ كثيراً من الأنشطة التي نستمتع بها الآن ونحن راشدون أصبحت ممتعة لأننا اشتركنا فيها مع والدينا أو مع أشخاص آخرين قريبين منّا عندما كنّا أطفالاً.

تجنّب عبارات «نعم، ولكن...» كثيراً ما يمتدح والدا الطفل الموهوب جهوده بأسلوب «نعم، ولكن...»، فيقول له أحدهما مثلاً: «لقد كان عملك رائعاً، وربّما كان من الأفضل لو أنّك فعلت كذا أو كذا». تضرّ هذه العبارات تقدير الطفل لذاته؛ لأنّ كلمة «لكن» تنفي ما جاء قبلها من إيجابيات، وغالباً ما يتذكّر الطفل من العبارة كلّها. فتكون الرسالة المتضمّنة في هذه العبارة: «إنّ مستواك و ما أنت عليه لا يكفيان لتكون طفلاً محترماً، لو أنّك حقّقت نجاحاً آخر، إضافة إلى ما عندك، فستكون مقبولاً تماماً.»

كن حساساً ولكن محدّداً في الوقت ذاته: كن حساساً لمشاعرك الذاتية ولمشاعر طفلك، وحاول أن تتجنّب العبارات التي تصفه أو تقوّمه بصورة عامة. فالعبارات العامّة مثل «عليك أن تبذل جهداً أكبر، وألاً تكون كسولاً»، أو «لديك إمكانيات كامنة عظيمة» ليست مفيدة في هذا المجال. حاول أن تكون محدّداً كلّما أمكنك ذلك لا سيّما عندما توجّه للطفل نقداً بنائاً. انتبه لاستجابة الطفل ومشاعره تجاه تقويمك لجهوده وأدائه. من الأساليب المفيدة في ذلك أن تعبّر عن شعورك أنت واستنتاجك للشعور المحتمل عند الطفل باستعمال كلمة (أنا)، أي الجمل التي تبدأ بكلمة أنا، التي تحدّثنا عنها في الفصل الخاصّ بالتواصل.

التمس فرصاً للتعلم: يمكنك ترتيب فرص للتعلم الرسمية وغير الرسمية كي تساعد على تحسين دافعية الطفل، وذلك بمنحه فرصة مشاهدة شخص محترف وهو يعمل في مجال من مجالات اهتمام الطفل الموهوب. إن مراقبة أحد الوالدين، أو أستاذ جامعي، أو شخص نباتي، أو كيميائي يعمل في شركة محلية تزود الطفل بمنظور جديد، وتضيف حافزاً من «الحياة الواقعية» إلى أهمية التربية. وكلما تقدّم الطلاب في التعليم، توافرت لهم فرصاً للعمل مع المحترفين، تساعدكم في الدخول إلى برامج تنافسية في المراحل الإعدادية والثانوية. لكن تذكر دائماً أن المواقف التي تتيح للأطفال مراقبة المحترفين لا تؤدي بالضرورة إلى النواتج التي يمتناها الوالدان. فقد يقرر الطفل أنه لم يعد مهتماً بالمهنة بعد أن يراها على الطبيعة. ومع ذلك، فإن المراقبة تزود الطفل بخبرة تعليمية قيّمة، وتكون فرصة جيدة للوالدين يثيان فيها على جهود الطفل وميله إلى المخاطرة.

ابحث عن التوازن

يسعى الوالدان إلى الارتقاء بدافعية أطفالهما، وأن يشعروا في الوقت نفسه بالرضا والانتماء إلى الآخرين والارتباط بهم. ولا شك أنه لا يوجد يحب أن تكون إنجازات الأطفال ملائمة ومهراً من المحيط غير السار، أو طريقة للانسحاب من العلاقات غير المريحة مع الأشخاص الآخرين. ولهذا، يجب على أولياء الأمور الانتباه إلى سمات الطفل المميّزة والثناء عليها، مع الحرص الشديد على عدم الشغف بما يحصل عليه من المكافآت والجوائز. عليك أن تعرض الأطفال إلى خبرات منوعة كي يوسعوا نظرهم لما هو ممكن، وعليك من جهة أخرى مساعدتهم على تطوير اهتماماتهم وميولهم الخاصة بطرق تناسب مع مواهبهم. ادفع أطفالك الموهوبين برفق، وشجعهم وتحداهم كي يحققوا ما تسمح به قدراتهم الكامنة، وتجنب مع ذلك الانجراف إلى الصراع مع الطفل على السلطة، حيث تكون النتيجة تدني تحصيل الطفل، ورفض الأداء لا لسبب سوى مبالغة الوالدين والمعلمين في التركيز عليه.

يتوجب على أولياء الأمور أن يحققوا التوازن بين أدوارهم في رعاية النمو الانفعالي عند أطفالهم وبين أدوارهم في تعزيز التحصيل، نظراً لوجود ارتباط بينهما. ولاشك أن الطفل سيواجه صعوبة كبيرة إذا لم يتطور الجانب الانفعالي والتحصيل جنباً إلى جنب. ولا شك أن ذلك التوازن يختلف من عائلة إلى أخرى. ما مقدار الدعم الذي يحتاج إليه طفلك؟ ما الوقت المناسب لتقديم الرعاية؟ كيف تعرف أنك تدفع الطفل أكثر ممّا ينبغي؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة ستكون سهلة إذا كانت العلاقات بين أفراد العائلة قوية ومميّزة. تذكر أن الأطفال الموهوبين دائماً مدفوعون نحو شيء ما. فإذا استطعت أن تحدّد علاقاتهم الشخصية مع الآخرين، ونجاحاتهم المتتابة، والأهداف التي يرسمونها لأنفسهم، كان بإمكانك الاستفادة من هذا الحماس المتأصل فيهم، فتشكّل دافعتهم وتحولها أو تسوقها إلى قنوات جديدة. عليك أن تتأكد أن الدرجة العالية من الدافعية والتحصيل عند هؤلاء الأطفال في مجال معين سوف تنتشر سريعاً إلى مجالات أخرى جديدة.

